

## لا تعتمد الكنيسة على صلاح كهنتها، بل على نعمة الله

### المطران أثناسيوس متروبوليت ليماسول

#### نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

من نحن؟ إننا خُدَّامٌ، مُعاونو الله، ونقومُ بعملِ الله. "أنا عَزَّسْتُ وَأَبْلُوسُ سَقَى، لِكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْهِي" ١ كو ٦:٣. لسنا نحن البشر من نقوم بعمل الله، بل هو [الله]. نحن البشر بُسْطاء، ضُعاء، لا قيمة لنا، وقد أُعْطِينَا دَعْوَةً مُحددة: لقد عَيَّنَا الربُّ لنخدُم في الكنيسة؛ لتقبَّل اعترافات الناس، لنعظَّ بكلمة الله، لتُقيم الأسرار المقدسة. هذا يعني أننا مجرد خُدَّام متواضعين للكنيسة، والله يقوم بكل شيء، يجب أن نعرف هذا ولا نقاومَه، لأن مقاومتنا هي طفولية رُوحِي.

ليست الكنيسة مؤسسةً بشريَّةً حيث يعتمدُ كلُّ شيء على جودة عملِ خُدَّامها. قرَّر مالكٌ متجرٍ ناجحٌ أن يُسَلِّمَ عمله إلى أبنائه، ولذلك إبتدأ يعلمُهم أدقَّ نقاطِ العمل. فمثلاً، لكي يأتي زبائنٌ إلى المتجر دائماً، أو عَزَّ قائلاً: "حين يأتي شخصٌ ما، استضيفوه، اعرضوا عليه: 'هل ترغب بكأسٍ من الليموناضة؟' قدِّموا له ضيافةً بعض الحلقوم أو الحلوى، بعض المشروب الروحي، أو نبيذاً. قدِّموا له هدية!" ولكن، هكذا تصرَّف أبناؤه بالمقابل: "إذا أراد الزبون أن يشتري شيئاً، فسيشتريه بدون أي ضيافة. وإذا أراد احتساء النبيذ فليذهب إلى الحانة على الرصيف المقابل". هكذا فكَّروا بالأمر. وبعد نصف سنة فرغَ المتجر. لم يكن أحدٌ يأتي. عاودَ الأب تولي الأمور بنفسه وابتدأ مجدداً اجتذاب الناس بالمشروب الروحي والنبيذ، مقدماً لهم ضيافة الحلقوم، وعادَ الزبائن. لو كانت الكنيسة مؤسسةً بشريَّة، لكان من الجيد الذهابُ إلى حيث يوجد إكليروس ملاطفون. ولكنَّ الكنيسة لا تعتمدُ على صلاح كهنتها، بل على نعمة الله. كاهنان في كنيستين مختلفتين يقيمان القداس الإلهي، ولكنَّ لكلا القداسين نفس القوة، بصرف النظر عما إذا كان كاهن بارٌّ أو خاطئٌ قد أقامَ القداس.

إن الله يعملُ في حياة الكنيسة، ويجب أن نشعر بأننا أبناء كنيسة المسيح، وليس أبناء أناسٍ محدَّدين، حتى ولو لم نكن نستطيع الاستغناء عنهم، مثل آبائنا الروحيين ومرشدينا وآبائنا المُعرِّفين الذين يقوُّوننا ونتلقَى منهم منفعة رُوحِيَّة.

أحياناً يكون الإيمان الذي نقاربُ به البعضُ مهتماً. قد يكون الأب المُعرِّف شخصاً باراً، ولكنَّ إذا أتينا إليه بعدم إيمانٍ فلن ننالَ أية منفعة رُوحِيَّة منه. وعلى العكس، فقد يكون الأب المعرف شخصاً خاطئاً، ولكنَّ إذا دَنَوْتُ منه بإيمانٍ فستتلقَى إجابةً من الروح القدس.

سأخبركم بقصة حصلت في جبل آثوس.

كان كثير من الأشخاص يأتون لرؤية الشيخ باييسوس. كنا نعيشُ في دير كوتلوموسيو منذ فترةٍ حينها. وُضِعَتْ لافتات [في الطريق] تقول: "إلى قلاية الشيخ باييسوس"، وسيقودك الطريق إليه. ولكن غالباً ما كان الحُجاج يتوهون وينتهي بهم الأمر في قلاية رهبانٍ آخرين. كانوا يطرقون الباب ويسألون:

"هل هنا يعيش الشيخ باييسوس؟"

- "كلا"
- "أين إذا؟"
- "قلايته أبعد أسفل الطريق"
- يأتي راهب إلى قلايته مريداً أن يرتاح، أن يقوم بعمل روحي، أن يصلي... وعندها يأتي حاجٌ آخر فيقرع الباب ويسأل:
- "هل هذه قلاية الشيخ باييسوس؟"
- "لا. ليست قلايته"
- "كيف أجدها؟"
- "إنذهب على طول هذه الطريق وستقودك إلى الشيخ"
- كان ذلك يحصل مئة مرة في اليوم. كثير من الرهبان كانوا ساخطين. عاش الشماس نيكن هنا أيضاً، وكان مُسْتَأْجِراً جداً حينها، أعتقد أنه كان في الثمانين من عمره، وأطول مني بكثير.. كان رجلاً سعيداً ورائعاً. كانت قلايته هي أول قلاية يطرقها الحجاج التائهون، إذ كانت في منتصف الطريق إلى الشيخ باييسوس. في مرحلة ما، سئم هو أيضاً من الأمر، وحين أتت مجموعة الحجاج التالية قال:
- "هذه هي قلايته يا أبنائي. أنا الشيخ باييسوس!"
- وحسناً.. لقد صدقوه.
- "بارك أيها الشيخ"
- تجمّع الحجاج حول الشماس نيكن الذي جلس في الوسط وبدأ يتنبأ ويكشف الأفكار ويقصّ قصصاً روحية متنوعة. كانوا سعداء وملهمين. استضافهم وأعطاهم أشياء صغيرة مختلفة ومازحهم. لقد أحب المزاح.
- ثم عاد الناس إلى الدير أبكر من المعتاد. سألتهم:
- "حسناً، كيف كان الأمر مع الشيخ باييسوس؟"
- "أوه أيها الأب. وجدنا قلايته مباشرة"
- "رائع! ولكن الطريق إلى مكان إقامة الشيخ يستغرق نصف ساعة ذهاباً ونصف ساعة إياباً"
- "وكم من الوقت تعيّننا؟"
- "نصف ساعة"
- "ولكننا رأينا الشيخ باييسوس!"
- يا رب ارحم!
- "جيد. وهل تحدثتم معه؟"
- "نعم! أوه، لقد عرفنا كل ما أردنا معرفته. أخبرنا عن حياة كل واحد منا! يا له من حكيم! إنسانٌ قيّم"
- ثم قال الطفل الذي كان معهم:

- "ولكنه سمين جداً"
- "سمين؟ الشيخ بايبيسيوس...سمين؟" قلت مندهشاً "إنه نحيل مثل عصا"
- "يا أبانا، إنه سمين جداً! سمين للغاية. بطنه تبدأ مباشرة من عند رقبته"، قال الولد
- قلت لنفسي: "اممم. شيء ما ليس صحيحاً هنا"
- "حسناً. اذهبوا واستريحوا. سنتحدث غداً"
- وأرسلتني إلى منزل الضيوف واندفعتُ أنا نفسي لرؤية الشماس نيكن.
- "أيها الأب نيكن!"
- "أنا مُصعِّ"
- "هل أتت مجموعة من الشبان لرؤيتك - ربما حوالي العشرين شخصاً؟"
- "نعم"
- "وماذا حصل؟"
- "سألني أحد الشبان: أين يعيش الشيخ بايبيسيوس؟ كيف نجده؟" فقلت: "أنا بايبيسيوس. اسألوني ما شئتم". جلست وبدأت بالتنبؤ وكشف الأفكار. تحدثت عن كل شيء كانوا مهتمين أن يسمعوا عنه"
- "حسناً يا مبارك، ماذا فعلت؟!"
- غادرت قلاية الشماس نيكن وتوجهت إلى الشيخ بايبيسيوس
- "لو تدرى فقط بما حصل اليوم!"
- وأخبرته بكامل القصة، فانفجر الشيخ بايبيسيوس ضاحكاً.
- "حسناً يا ولدي، يا له من إنسانٍ صالحٍ شماسنا نيكن. أنقذني من الصداع الذي كان ليصيبني من هؤلاء الشبان!"
- في النهاية، تحدث الرجل المُسئُ معهم عن الله حقاً، لأنه كان لديهم إيمان. كان الشيخ نيكن ملهماً، وبالفعل أخبرهم بأمورٍ روحية هامة، بدون أن يكون نبياً. أتى إلى جبل آثوس في طفولته. كان إنساناً رائعاً وصالحاً جداً ومتواضعاً. وكان أيضاً يعاني من زيادة الوزن. نعم، نحن أناسٌ سمانٌ ولسنا هزيلين. لا تنظروا إلى القديسين الذين كانوا نحيفين: كانوا نحيفين، ولكنهم كانوا قديسين!
- شرح لي طبيب نفسي هذا الأمر وتوقفت عن القلق حياله. سألتني:
- "هل تعرف يا أبانا لم الكثير من الكهنة سمان؟"
- قلت: "على الأرجح لأننا لا نتحرك كثيراً"
- "كلا يا أبانا! بل لأنكم أناس هادئون. الشخص الهادئ لا يغضب أو يتوتر، وهكذا يسمن. ولكننا نتوتر ونغضب طيلة النهار.. كيف سيزداد وزننا؟!"
- قلت له: "أنت على حق. نشكر الله أننا نشعر بالتوتر مرة كل شهرين أو ثلاثة"
- هذا كل شيء. ضحكنا جيداً اليوم، واتصلت امرأة من أثينا أول أمس وقالت لي:

" يا أبانا، أنا أستمع إلى أحاديثك. إنها جيدة جداً. لا يمكنك أن تتخيل كم أضحك حين أستمع إليك "  
قلت لها: "أنت على حق "  
أحاديثي تصلح للضحك فقط، ولا شيء آخر.

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol. The Church Rests not upon the Righteousness of Its Ministers, but upon the Grace of God. Translation into English by Jesse Dominick. Sretensky Monastery. OrthoChristian. 2/7/2022. <https://orthochristian.com/144312.html>

